جامعة الإخوة منتوري قسنطينة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

# محاضرات في النص الأدبي القديم (نثر)

لطلبة السنة الأولى ليسانس

المجموعة الثالثة

الأفواج: 11،12،13،14،15

إعداد الأستاذ: عبد العزيز نقيبل

**الموسم الجامعي:1440هـ-1441هـ/2019- 2020م**

## عنوان المحاضرة: فن الترسل وأنواعه:

**-مفهوم الترسل:**

لكلمة الرسالة معان ودلالات في معاجم اللغة العربية تخرج من الجذر رسل، ومن هذه المعاني التي تجتمع على دلالة واحدة تدور حول الانبعاث والانبساط والامتداد والاستمرار، حيث شيء بعد شيء في رفق وسهولة وتتابع وتكرار، وهذا ما أكده الأصل في معجم مقاييس اللغة.

وعن اشتقاق مصطلح الرسالة والترسل يقول قدامة بن جعفر: "الترسل من تراسلت أترسل ترسلا، ولا يقال إلا لمن يكون فعله في الرسائل قد تكرر، وراسل يراسل مراسلة فهو مراسل، وأصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يراسل به من بعد وغاب، فاشتق له اسم الترسل والرسالة من ذلك"[1].

وفي الاستعمال الأدبي هي تسمية واسعة لأي نص موجه إلى فرد أو جماعة ولها أغراض عديدة منها الوصف والدعوة والفخر، يرتبها الكاتب من حكاية إلى حال، من عدو أو صديق، أو مدح أو تقريض، أو مفاخرة بين شيئين، أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى[2].

والترسل مصطلح أدبي يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل قد تكون رسمية أو إخوانية أو أدبية أو سياسية، تصدر من كاتب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة، يترجمها لكلمات يؤلف بينها لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه تؤدة وسهولة ووضوح من المرسل إلى المرسل إليه، وتعرف الرسالة بأنها فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر، أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي أخر، أو ما يكتبه المرء إلى صديق أو أهل له، وتكون موجزة محدودة الموضوع سهلة الأسلوب خالية من التأنق اللفظي غالبا[3].

---

1- قدامة بن جعفر: نقد النثر، تحقيق طه حسين، دار الكتب المصرية ،القاهرة، مصر، ط1 ، 1983، ص95.

2- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، إشراف سعيد عبد الفتاح عاشور، وزارة الثقافة، القاهرة، مصر، ط2، 1963، ج14، ص138.

3- ينظر: محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ج2، ص478.

**-أنواع الرسائل:**

**1-الرسائل الديوانية:**

هي رسائل تصدر عن الديوان نسبة إليه، وتسمى كذلك بالرسائل الرسمية، موضوعاتها متنوعة تشمل الرسائل التي تصدر عن تولية العهد، وتولية القضاة، والولاة، وكل ما يتصل بشؤون الرعية، كما تشمل الرسائل التي تصدر عن الخليفة أو الأمير أو الوزير إلى من هو مثله في مختلف الموضوعات التي تتضمن العهود والتقاليد وانتقال الخلافة ، والدعوة إلي الطاعة، والحث على الجهاد وما إلي ذلك من موضوعات ذات طابع رسمي وإداري.

وترجح كتب التاريخ أن معاوية بن أبي سفيان هو أول من أنشا ديوان الرسائل، ثم انتشر في سائر الولايات الإسلامية، وان أول من تقلدوا هذا الديوان كانوا عربا خلص، مثل عبيد الله بن أوس، ويحي بن يعمر، وروح بن زنباع وغيرهم، ويذهب بعض الباحثين إلى أن ديوان الرسائل عربي النشأة وليس بالفارسي ولا باليوناني، ثم نافس الأعاجم العرب في هذا الميدان، فتعلموا العربية وأتقنوها، ومنهم من تقلد ديوان الرسائل: كسالم بن عبد الله مولى هشام بن عبد الملك، وتلميذه عبد الحميد الكاتب الذي تقلد ديوان الرسائل لمروان بن محمد الأموي، فديوان الرسائل نشأ نشأة عربية خالصة، لكن في أثناء سيره أمدته روافد فارسية ويونانية[1].

وهذه الرسائل يتبادلها الخلفاء والولاة وقادة الجيش، تصدر عن دواوين الحكم، وتعنى بأمور الدولة وشؤونها السياسية، يراعى فيها دقة المعلومات، وتهدف إلى نشر الحقائق بأسلوب هادئ واضح بعيد عن الزخرفة اللفظية. كما تتطلب هذه الرسائل ثقافة واسعة في الأدب واللغة والتاريخ، وحفظ عدد من الشواهد الشعرية والنثرية والأقوال والحكم، وآيات القران الكريم والحديث النبوي الشريف، وصارت منذ العصر الأموي فنّ اختص به بعض الكتاب وتفرغوا له، واشتهروا به منهم: عبد الحميد الكاتب وابن العميد، والصاحب بن عباد.

**-موضوعاتها:**

تطرقت الرسائل الديوانية إلى موضوعات كثيرة ومتنوعة، تتناول مخالف شؤون الدولة وما يتعلق بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهود، وأخبار الولايات وأحوالها، وعهود

1- ينظر: حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص 68.

الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم، ووصايا الوزراء والحكام في تدبير شؤون الدولة. كما تضمنت أيضا ما يكتبه كتّاب الدواوين في التهاني بما تحقق من فتوحات وظفر على أعداء المسلمين، و رسائل التهنئة بالفتوحات الجديدة والانتصارات.

كما تضمنت الرسائل الديوانية أوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم، و كانت هذه الرسائل أشبه بمنشورات يوجهها الكاتب باسم الخليفة إلى عماله في الأصقاع المختلفة، ويتصل بالرسائل الديوانية ما كان يكتبه الكتاب إلى الولاة بتوجيهات من خلفائهم يذكرونهم فيه بمسؤوليتهم في المحافظة على الأمن، ومتابعة شؤون وأحوال الرعية والعمل على استقرار الأمور" (1)

ضبط الكتّاب والأدباء القواعد التي ينبغي للكتاب أن يسيروا عليها في كتابة رسائلهم، فتفننوا حينئذ طويلا في التحميدات التي تصدر بها الرسائل، وتذكر المصادر أن هارون الرشيد هو أول من أمر بافتتاح الرسائل بالبسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهناك رأي يفيد أن وزيره يحي البرمكي هو من أمر بذلك.

ومن نماذج الترسل الديواني رسالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتاب، وهي رسالة عامة موجهة إلى هذه الطائفة التي أصبح لها كيان في حياة الدولة، يقول فيها: " أما بعد،حفظكم الله،يا أهل هذه الصنعة، ووفقكم وأرشدكم ، فإن الله –عز وجل– جعل الناس بعد الأنبياء والمرسلين – صلوات الله عليهم أجمعين– سوقا،وصرفهم في صنوف الصناعات التي سبب منها معاشهم، فجعلكم – معشر الكتاب– في أشرفها صناعة،أهل الأدب والمروءة والروية، وذوي الأخطار والهمم وسعة الذوق في الأفضال والصلة،بكم ينتظم الملك ويستقيم للملوك: أمورهم، وبتدبيركم وسياستكم يصلح الله سلطانهم، ويجمع فيهم،وتعمر بلادهم،يحتاج إليكم الملك في عظيم ملكه، والوالي في القدر السني من ولايته،ولا يستغني عنكم منهم أحد ولا يوجد كاف إلا منكم...تنافسوا معشر الكتاب في صنوف العلم والأدب، وتفقهوا في الدين، وابدؤوا بعلم كتاب الله عز وجل والفرائض ثم العربية، فإنها ثقاف ألسنتكم، وأجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار واعرفوا غريبها ومعانيها، وأيام

1– فوزي سعد عيسى: الترسل في القرن الثالث الهجري، دار المعرفة الجامعية، 1991، ص27.

العرب والعجم، وأحاديثها وسيرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمون إليه بهممكم، ولا يضعفن نظركم في الحساب فانه قوام كتّاب الخراج منكم"[1]

**2-الرسائل الإخوانية:**

هي رسائل يكتبها الناس بعضهم إلى بعض في موضوعات إخوانية وغيرها من موضوعات الحياة، ويطلق اسم الرسائل الإخوانية على جميع الرسائل غي الديوانية، كما لا يمكن الفصل بين الرسائل الإخوانية والرسائل الدينية فصلا تماما[2] ويرجع وجود هذا النوع من الرسائل إلى صدر الإسلام مع رسالة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعزي فيها معاذ بن جبل رضي الله عنه في ابن مات له، وهذا نصها: "من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل:

سلام عليك، فاني احمد الله إليك الذي لا اله إلا هو.

أما بعد،

فعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر ورزقنا وإياك الشكر. ثم إن أنفسنا وأهلنا ومواليا من مواهب الله السَّنيّة، وعوارفه المستودعة، نمتع بها إلى اجل معدود، وتقبض لوقت معلوم. ثم افترض علينا الشكر إذا أعطى، والصبر إذا ابتلى.

وكان ابنك من مواهب الله السنية، وعوارفه المستودعة، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كثير: الصلاة والرحمة والهدى، إن صبرت واحتسبت، فلا تجمعن عليك يا معاذ خصلتين: أن يحبط جزعُك صبرَك، فتندم على ما فاتك، فلو تقدمت على ثواب مصيبتك، قد أطعت ربك وتنجزت موعوده، عرفت أن المصيبة قد قصرت عنه. واعلم أن الجزع لا يرد ميتا، ولا يدفع حزنا، فأحسن العزاء، وتنجز الموعود، وليذهب أسفك ما هو نازل بك... [3]

وقد كان لنظام البريد في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عاملا مهما في الرقي بالرسائل الإخوانية وغيرها لسرعة تبادل ونشر الرسائل، ولعل ما وصلنا من رسائل عصر صدر الإسلام قليل لعدم عناية الأدباء بهذا النوع من الرسائل، وربما لعدم سمو هذه النوع إلى مرتبة

---

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامين دار المعارف، القاهرة، مصر، ط20، 2002، ص 475.

2- ينظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج9، ص 78، 80.

3- حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص79.

الفن، وقد حفظ بعضها لارتباطها الشديد بالتاريخ، حيث دونت في كتب التاريخ لا في كتب الأدب.

والرسالة الإخوانية مفعمة بالعواطف والمشاعر، وفيها عتاب واعتذار، وتهان وغير ذلك من الموضوعات، فهي أوسع مجالا وأعظم قدرا، وأقرب إلى الإبانة عن فكرة الكاتب وعاطفته، وتصور كثيرا من آراء الناس وعاداتهم وأخلاقهم وأحوال الأمة التي يعيشون فيها، من فرح وحزن، ولقاء ووداع، وزواج وولادة، وسفر وعودة منه، وغير ذلك من الموضوعات المرتبطة بالإنسان وأحواله الشخصية والاجتماعية.

وأسلوب هذا النوع من الرسائل كأسلوب غيرها يتطور بتطور العصر الأدبي، وهي أقرب إلى الأدب من الرسائل الديوانية، لاشتمالها على العواطف والخيال، وفيها مجال يبرز فيه الكاتب قدرته على الصياغة الإنشائية الأدبية [1]، ويرتقي بنصها إلى النص الأدبي الراقي في أسلوبه وألفاظه ومعانيه وأفكاره.

**-موضوعاتها:**

تدور أغلب موضوعات الترسل الإخواني حول الجانب الإنساني، وما يتصل بالصداقة والعلاقات الاجتماعية " كالرغبة في التلاقي للمسامرة أو المنادمة أو الإئتناس، وعبرت كذلك عن بعض العادات الاجتماعية التي شاعت بين الكتاب آنذاك كتبادل الهدايا من كتب وزهور وخيول وسيوف وغيرها. واتخذ الكتاب الرسالة الإخوانية أداة لتوجيه الشكر إلى إخوانهم لمعروف أسدوه إليهم أو خير اختصوهم به أو معروف أحاطوهم به"[2].

ولم تقتصر على ما سلف ذكره، بل "تناولت موضوع الاعتذار باعتباره يمثل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب، فكان الكاتب يعتذر عن تلبية دعوة أو المشاركة في إحدى المناسبات ذاكرا الأسباب التي حالت دون تلبية دعوته. وعلى العموم فقد تناولت المواضيع التالية:

التوصية أو رسائل التواصي؛ يرسلها شخص لشخص آخر عنده جاه، يشفع عنده لشخص ثالث في أمر من الأمور التي تهمه، أو في قضاء حاجة من حوائجه، وكان هذا النوع من الرسائل

---

1- حسين غالب: بيان العرب الجديد، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، دت، ص182.

2- فوزي سعد عيسى: الترسل في القرن الثالث الهجري، ص36.

مألوفا في زمن العباسيين، فقد كان الناس يضطرون إلى تسخير الجاه في سبيل قضاء الحوائج بوصفه شكلا من أشكال الكرم.

إضافة إلى رسائل التعزية والمواساة، التي تدور حول الحث على الصبر والرضا بقضاء الله، والدعوة إلى عدم إظهار الجزع من المصائب، والتذكير بما يلقاه الصابرون من الثواب عند فقدان الأحبة...وكثيرا ما تتضمن دعاء للميت بالرحمة ولأهله بالصبر والأجر وطول البقاء.

وهناك نوع آخر وهو رسائل الهجاء ولكنها لم تلق الرواج، وقد اشتهر بعض الكتاب بسلاطة اللسان في كتاباتهم، ومن هؤلاء بشر بن أبي كبار البلوي، وكان كثير التعرض للوزراء والولاة وغيرهم من أعيان أهل العراق ومن رسائله في الهجاء كقوله: أما بعد فإني رأيتك في أمر دينك متصنعا مخذولا وفي أمر دنياك فاجرا مثبورا، وفيك خصال لا تجتمع في مسلم إلا بسوء سريرة كبيرة، أو إضمار عظيمة...وإن في إيمانك لضعفا، وإن في نفسك لوهنا، وإن في صدرك لكبرا، وإن في قلبك لقساوة، وإن في معيشتك لإسرافا. دون أن ننسى رسائل السؤال عن المريض، فقد اعتاد الكتاب في السؤال عن المرضى أن يتمنوا لهم البرء والسلامة والأجر والثواب[1].

وليس هناك معايير صارمة أو قواعد ثابتة في هاته النوعية من الرسائل "فقد حاول النقاد أن يضعوا معالم يهتدي بها الكتاب في كل ضرب من ضروب الرسائل الإخوانية، ولكنهم في كثير من الأحيان يعترفون بالعجز عن وضع هذه المعالم بدقة"[2] ولعل هذا ما يميز الترسل الإخواني، ويجعله« أدخل في الأدب، وأقبل للتخييل والصور البيانية، والصنعة البديعية، تحتمل الاقتباس من المنثور والمنظوم، وتنافس الشعر في جل أغراضه"[3].

ومن نماذج الرسائل الإخوانية رسالة عبد الحميد الكاتب الإخوانية التي كتبها إلى أهله يعزيهم فيه عن نفسه يقول فيها:" أما بعد فإن الله عز وجل جعل الدنيا محفوفة بالكره والسرور، وجعل فيها أقساما مختلفة بين أهلها، فمن ردت له بحلاوتها وساعده الحظ فيها سكن إليها ورضي بها، وأقام إليها، ومن قرصته بأظفارها وعضته بأنيابها وتوطأته بثقلها قلاها نافرا عنها، وذمها

1- ينظر: محمود عبد الرحيم صالح: فنون النثر في العصر العباسي، ص104.

2- أحمد بدوي: أسس النقد عند العرب، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، مصر، دط، 1964، ص32.

3- محمد مسعود جبران: في فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب، دار المدار الاسلامي، ط1، 2004، مج2، ص150.

ساخطا عليها، وشكاها مستزيدا منها، وقد كانت الدنيا أذاقتنا من حلاوتها وأرضعتنا من درّها أفاويق استحلبناها ثم شمست منا منافرة، وأعرضت منا متنكرة، ورمحتنا مولية، فملح عذبها وأمر حلوها، وخشن لينها، ففرقتنا علن الأوطان وقطعتنا عن الإخوان، فدارنا نازحة، وطيرنا بارحة، قد أخذت كل ما أعطت، وتباعدت مثلما تقربت، وأعقبت بالراحة نصيبا، وبالجذل هما، وبالأمن خوفا، وبالعز ذلا، وبالجدة حاجة، وبالسراء ضراء، وبالحياة موتا، لا ترحم من استرحمها سالكة بنا سبيل من لا أوبة له، منفيين عن الأولياء، مقطوعين عن الأحياء"[1] فالرسالة تحمل جميع خصائص عبد الحميد الكاتب التي تميز بها في أسلوبه، ومعانيه، فألفاظه مختارة ليس فيها توعر ولا غريب وحشي، وفيها عذوبة وحلاوة، ومعانيه غزيرة ومرتبة لا غموض فيها ولا خفاء، بل واضحة والدلالة فيها مكشوفة، والكاتب يعنى بالترادف في أسلوبه ترادفا ينتهي إلى ازدواج واضح يؤكد المعاني بما يحمل من فواصل سجعية وموسيقية.

**3-الرسائل الأدبية:**

هي نوع من الرسائل يكتبها كاتب في موضوع معين، شبيهة بالمقالة، أو البحث القصير، والرسالة الأدبية في أول أمرها تشبه ما يجري من مراسلات عادية بين شخصين، ثم تطورت معانيها مع تطور الزمن، فصارت تشمل القطع الأدبية المكتوبة لغرض خاص، ، كالرسالة العذراء لابن المدبر، ورسالة التربيع والتدوير للجاحظ، والرسائل الزرزورية لابن أبي الخصال.

يتميز الأسلوب في الرسائل الأدبية بحسن اختيار الألفاظ وبراعة أداء المعاني، وجودة سبك الجمل، ووضوح في الهدف، مع وجود الزخرفة البديعية، وغيرها من التشبيهات والخيال الواسع، وتلتقي الرسائل الأدبية مع الرسائل الإخوانية في كثير من الموضوعات والأغراض حتى عدها البعض جزء من الرسائل الإخوانية. كما تمتاز بالنضج الفني، لأنها اشد تمثلا لفنية الرسالة من النوعين السابقين، ومن الأشكال التعبيرية التي عالجتها الرسالة الأدبية: المناظرة، والمفاخرة، والمحاورة، والمفاضلة، والمساجلة وغيرها [2]

---

1- شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي، ص479.

2- حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، ص79.

**4-الرسائل السياسية:**

يقصد بهذا النوع من الرسائل الرسائل التي تكتب لمعالجة موضوعات سياسية أو فكرية مختلف، فرضتها طبيعة الأحداث السياسية التي شهدتها الدول في مختلف تحولاتها ومختلف الأحداث التي عاشتها، وتعد تلك الرسائل صدى للصراعات السياسية والاضطرابات والفتن الداخلية، إلى جانب الحركات الفكرية التي ظهرت في المشرق والمغرب والأندلس، كما كانت صدى للتطور السياسي الذي وصلت إليه الدولة وعلاقاتها بالدول المجاورة، لذا كانت الرسالة السياسة تعبر عن سياسة الدولة وتوضح موقفها من تلك الأحداث والتطورات المختلفة.

وهي لم تقتصر على ما كان يصدر عن الدولة وديوان الرسائل فيها، بل كانت تشمل أيضا ما كان يصدر أيضا عن الحكام والثائرين على الدولة في بعض المدن والأقاليم من رسائل تعالج أمورا سياسية مختلفة. وقد تعددت ألوانها، وتعددت أغراضها، ومن ذلك: رسائل الزجر والإصلاح، وتهديد الخارجين على الحكم، وهي تلك الرسائل التي كانت تصدر عن ديوان الرسائل في حال شيوع الاضطرابات في ناحية من نواحي الخلافة أو الدولة، فتعمد هذه الرسائل إلى أسلوب الزجر والتخويف والتهديد حينا، والى أسلوب المصانعة والملاطفة والترغيب حينا آخر [1]

**- نماذج من الرسائل الأندلسية:**

من هذه الرسائل ما كتبه عبد الرحمان الداخل إلى رجل خارج عليه يسمى سليمان الأعرابي، حيث يدعوه بالرجوع عن غروره ويهدده بالبطش إن هو لم يستجب لدعوته يقول في هذه الرسالة:" أما بعد فدعني من معاريض المعاذر، والتعسف عن جادة الطريق، لتمدَّنَّ يدا إلى الطاعة والاعتصام بحبل الجماعة،أو لألقينَّ بنابها على رضف المعصية نكالا بما قدمت يداك، وما الله بظلام للعبيد"[2].

وكان بعض الثائرين على الدولة قد وجه عددا من رسائل التهديد لأمراء الأندلس ومن ذلك تلك الرسالة التي بعث بها عبد الرحمن الجليقي، وهو من الخوارج أيام بني أمية بالأندلس، إلى

---

1- ينظر: فايز عبد النبي فلاح القيسي: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1989، ص120 .

2- ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق ج. س. كولانو أ. ليفي بروفنسال، ج2، ص85.

الأمير محمد بن عبد الرحمن عندما علم انه جهز حملة عسكرية ضده، يقول فيها:" بلغني أن هاشما خرج إلى جهة الغرب، ولست أشك أنه أطمعه في أخذ الثأر مني كوني في حصن مغلق، وبالله لئن جاز لبلة إلي لأضرمنّ بطليوس بالنار ثم أعود إلي حالي الأول معك"[1]

ومن الرسائل السياسية أيضا التي تتسم باللطف تلك الرسالة التي بعث بها الأمير عبد الرحمن الأوسط إلى إمبراطور الروم تيوفيلوس ويستدل من هذه الرسالة على ما انطوت عليه رسالة إمبراطور الروم التي يطلب فيها من الأمير إقامة علاقات ودية وصداقة قوية بينهما لتكون امتدادا للصداقة التي كانت بين أسلافهما زمن الدولة الأموية في المشرق، ويعبر عن أسفه وحزنه الشديد لما حل ببني أمية في المشرق من قتل وتشريد، ويهاجم الخلافة العباسية، ويعرض لسوء حكم بعض الخلفاء العباسيين وانحرافهم عن مصلحة رعيتهم.

وقد رد عليه الأمير عبد الرحمن برسالة مماثلة، يذكر له فيها انه يرغب في مودته وصداقته، وأنه يسعى لإحياء ذكر المودة التي كانت بين أسلافهما حيث يقول: " وأما ما رغبت من مودتنا وأحببته من مصادقتنا، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه، بما كان عليه أولوك لأولينا، فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا وان نتمسك من ذلك بما كان عليه سلفنا، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به، ويتحاضون عليه، ويحفظه بعضهم لبعض، ويشدون أيديهم به"[2].

وقد كثر كتاب الرسائل في عصر الطوائف، وصار في كل بلاط، أو قصر، أو دار حكم في مدينة أو مقاطعة في حاجة إلى رسوم السلطة، وأبهة المُلك، ومن هؤلاء الكتاب في هذه المرحلة ابن برد الأصغر كاتب معن بن صمادح أمير المرية، وأبو محمد بن عبد البر كاتب مجاهد العامري وابنه علي، وكانوا في دانية بشرق الأندلس، وأبو المطرّف بن المثنى كاتب المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة. ولابن أيمن رسالة كتبها عن المتوكل المذكور إلى يوسف بن تاشفين أمير المغرب يستنجد به باسمه وباسم الأندلس كلها ضد ألفونس ملك قشتالة وغيره من ملوك نصارى الشمال الطامعين، قال فيها: " ...لما كان نور الهدى دليلك وسبيل الخبر سبيلك،

---

1- ابن القوطية: تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبد الإله أنيس طباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، لبنان، 1957 ، ص109.

2- فايز عبد النبي فلاح القيسي: أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، ص126.

ووضحت في الصلاح معالمك، ووقفت على الجهاد عزائمك، وصح العلم بأنك لدعوة الإسلام أعزّ ناصر، وعلى غزو الشرك أقدر قادر، وجب أن تستدعى لما أعضل من الداء، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء. فقد كانت طوائف العدو المطيفة بها –أهلكهم الله–عند إفراط تسلطها واعتدائها، وشدة كلبها واستشرائها، تلاطف بالاحتيال، وتستزال بالأموال..." [1]

ولأبي المطرف رسالة كتب بها عن ابن هود فيها عقد ابن هود على أهل شاطبة الولاء للخليفة العباسي ببغداد المنتصر، وفيها البيعة لنفسه، ولابنه وليا للعهد من بعده جاء فيها:" الحمد لله الذي جعل الأرض قرارا، وأرسل السماء مدرارا، وسخر ليلا ونهارا، وقدّر آجلا وأعمارا، وخلق الخلق أطوارا، وجعل لهم إرادة واختبارا، وأوجد لهم تفكرا واعتبارا، وتعاهدهم برحمته صغارا وكبارا. نحمده حمد من يرجو له وقارا، ونبرأ ممن عانده استكبارا، وألحد في آياته سفاهة واغترارا.

وصلى الله على سيدنا محمد الشريف نجارا، السامي فخارا، رفع الله من شريعته للأمة منارا، وأطفأ برسالته للشرك نارا، حتى علا الإسلام مقدارا، وعز جارا ودارا، وأذعن له الكفر اضطرارا، واستسلم ذلة وصغارا، فمضى وقد ملأ البسيطة أنوارا، وعمها بدعوته أنجادا وأغوارا، وأوجب لولاة العهد بعده طاعة وائتمارا..."[2] وتستمر الرسالة على هذه الصورة من العناية والأناقة والصنعة الفنية، واستعراض المقدرة البيانية، واللجوء إلى الأسلوب المسجوع.

وكثرت الرسائل الأدبية في التراث الأندلسي، وتعددت أغراضها، وصدرت رسائل أدبية تعالج جوانب ذات علاقة بالخصوصية الأندلسية مثل الرسائل التي تتخذ الجهاد والاستنفار للحرب، وتصوير معاركها العنيفة موضوعات لها، والرسائل التي تقال على لسان الأزهار والأنوار وما يخص الطبيعة الأندلسية الفاتنة، ومن أسماء الكتاب المشهورين: ابن شُهَيد ورسالة التوابع والزوابع، وابن زيدون والرسالة الهزلية، وأبا الحسين سراج بن عبد الملك، وابن أبي الخصال في الرسائل الزرزورية، وابن خفاجة في وصف الطبيعة، وابن حزم في طوق الحمامة والكلام على الحب والمحبين.

---

1- محمد رضوان الداية: في الأدب الأندلسي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص221.

2- المرجع نفسه، ص223.

وعرف من آل برد في الأدب والكتابة والخدمة السلطانية اثنان هما أبو حفص أحمد بن برد الأكبر، وحفيده أبو حفص أحمد الذي عرف بابن برد الأصغر(ت450هـ) الذي اشتهر برسائله السياسية والأدبية والإخوانية ومن أشهر رسائله الأدبية رسالة عقدها للمفاضلة بين السيف والقلم، ورسالة النخلة، ورسالة أُهب الشاء. وهذا مقتطف من رسالته في السيف والقلم:" ...أما بعد حمد الله بجميع محامده وآلائه، والصلاة على خاتم أنبيائه، فإن التسابق بين جوادين سبقا في حبله، وقضيبين نسقا في تربه، والتحاسد بين نجمين، أنارا في أفق، وسهمين صارا على نسق، والتفاخر من زهرتين تفتحتا من كمامة، وبارقتين توضحتا من غمامة لأحمدُ وجوه الحسد– وإن كان مذموما مع الأبد–...وأن السيف والقلم لما كانا مصاحبين يهديان إلى القصد من بات يسري إلى المجد، وسلّمين يلحقان بالكواكب من ارتقى لساميات المراتب، وطريقين يشرعان نهج الشرف لمن تقرّى إليه، ويجمعان شمل الفخر لمن تأشب عليه، ووسيلتين يرشفان العلا فم عاشقها، ويبسطان في وصال المنى يد وامقها، وشفيعين لا يؤخر تشفيعهما، ومجمعين لا يفرق تجميعهما، جررا أذيال الخيلاء تفاخرا، وأشما بأنف الكبرياء تنافرا، وادّعى كل واحد منهما أن الفوز لقدحه، وأن الوري لقدحه، وأن الدرّ من أصدافه، وأن البكر من زفافه، وأن البناء من تشييده، وان الملاء من تعضيده، وأن كباء الثناء موقوف على مجامره، وأن خطيب الفخر محبوس على منابره، وأن حلل المآثر من نسيجه، وان أفراد المفاخر من تزويجه.

وحين كشف الجدال قناعهن ومد الخصام ذراعه، وهز الإباء من عطفه، وأشم الأنف من أنفه، قاما يتباريان في المقال ويتساجلان في الخصال، ويصف كل واحد منهما جلال نفسه... [1]

وتستمر الرسالة طويلا ليقدم كل من القلم والسف حججه على التناوب، وشواهده على السبق والتفوق، وتنتهي الرسالة بقطعة شعرية يصل منها الكاتب إلى غايته العلمية وغرضه الشخصي، وهو مدح أبي الجيش مجاهد والثناء عليه بحيازته البراعة في السيف والقلم معا.

**خصائص بناء الترسل:**

عرف البناء الهيكلي للرسالة تطورات مختلفة خلال مسيرته في تاريخ الأدب العربي، منذ رسالة عبد الحميد إلى الكتاب إلى موسوعة أبي العباس القلقشندي مرورًا بغيرهما من المؤلفات

1– ابن بسام الشنتريني: الذخيرة في محاسن الجزيرة، ج1، ص523.

التي نظَّرت لهذا اللون الأدبي، وعن هذا الاختلاف يقول الكلاعي: "ونظرت –أعزك الله – في صور الرسائل واستفتاحاتها فوجدتها أيضًا تختلف"[1] ومقدمات الرسائل تشتمل عادة بعد البسملة والصلاة على النبي، وتختلف استفتاحات الرسائل، ويختار الاستفتاح المناسب لمنزلة المرسل إليه فقد يذكر مقدمًا عن المرسِل بصيغة: لفلان من فلان. وقد يؤخر ذكره فيكتب: من فلان لفلان، وتكون في حالات أخرى بإيراد كنية المرسل إليه أو رتبته، غير أن كل الاستفتاحات، كأن يراعى فيها الجودة والحسن والبراعة لأنها تقع في البداية وهي أول ما يطرق السمع من الكلام، فيكون داعية للانشراح، وإثارة انتباه المتلقي. وقد كان يُلْجَأُ إلى المنظوم، فتُبدأُ الرسالة بأبيات شعرية لكاتبها أو لغيره تدل على المضمون العام لها، وتختصره في كلماتها، وكثيرًا ما يلجأ الكتّاب إلى الإشارة إلى غرض الرسالة في مطالعه، ومقدماتها.

وفي المضمون ينتقل كتاب الرسائل إلى المراد من رسائلهم وبحسن تخلص لِطَرْقِ الموضوع الذي يريدون معالجته في رسائلهم، وغالبًا يقع حسن التخلص بصيغة: أما بعد وهي وقفة بين الابتداء والشروع في الموضوع المراد ذكره في الرسالة، وقد تنوعت المضامين في الرسائل بنوعيها الإخواني والديواني، ومست مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية، فكان كتّاب الدواوين يكتبون بتولية القادة والقضاة والأمراء، ويكتبون بمناسبة نصر جيوش المسلمين والتهنئة بذلك.

وفي الإخوانية يتبادل الأصدقاء الرسائل ويتطرقون فيها إلى الشوق والاعتذار والتهنئة بالزواج والمولود الجديد والتعزية والشكر والدعوة إلى حضور مناسبة من المناسبات وغيرها من الموضوعات.

وفي خاتمة الرسالة هي آخر شيء فيها "وتكون في الغالب بلفظ السلام أو السلام ورحمة الله تعالى وبركاته وتكون مسبوقةً بالدعاء، كما تشتمل كثيرٌ من الرسائل على التأريخ باليوم والشهر والسنة كعلامة على انتهاء الرسالة، وإن كانت بعض الرسائل تؤرخ في البداية، ويتم التأريخ بما مضى من الشهر باعتباره معلومًا، ويشترط في الاختتام ما يشترط في الابتداء من جودة وحسن لأنه آخر ما يتبقى في الأسماع"[2]

---

1- آمنة الدهري: الترسل الأدبي بالمغرب النص والخطاب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، المغرب، ط1، 2003، ص381.

2- ينظر: محمد طاهر توات: أدب الرسائل في المغرب العربي، ص381.

هذه العناصر التي تشكل الهيكل العام للرسائل غير ثابتة ومستقرة، فقد يخرج الكتاب عنها في في بعض الحالات

**عنوان المحاضرة: السرد.. حكايات ألف ليلة وليلة:**

**-مفهوم السرد:**

جاء في كتاب العين للفراهيدي: "سرد القراءة والحديث يسرده سردا؛ أي يتابع بعضه بعضا[1] وجاء في القاموس المحيط: " السرد: ينسج الدر، ويعني جودة سياق الحديث"[2] وفي أساس البلاغة للزمخشري قال الشماخ يصف حمرا:

شككن بأمساء الذناب على هوى كما تابعت سرد العنان الخوارز

أي تتابعن على هوى المساء، وسرد الدرع إذا شك طرفي كل حلقتين وسمرهما، ونجوم سرد متتابعة، وقيل لأعرابي: ما الأشهر الحرم ؟ فقال: ثلاثة سرد وواحد فرد، وتسرد الدّرّ : تتابع في النظام. ولؤلؤ متسرد، قال النابغة:

أخذ العذارى عقده فنظمنه من لؤلؤ متتابع متسرد

وتسرد معه كما يتسرد اللؤلؤ، وسرد الحديث والقراءة، جاء بهما على ولاء. وفلان يحرق الأعراض بمسرده أي لسانه، ومشى مسردا: يتابع خطاه في مشيه"[3] وفي لسان العرب: "السرد في اللغة: تقدمه شيء إلى شيء تأتى به متسقا بعضه في إثر بعض متتابعا. سرد الحديث ونحو يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث سردا إذا كان جيد السياق له، والسرد: المتتابع، وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه، ومنه الحديث: كان يسرد الصوم سردا.. والسرد: الخرز في الأديم بعضها في بعض"[4].

---

1-الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الحرية، بغداد، العراق،1984: مادة( س رد).

2- الفيروز آبادي :القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، دط، دت، مادة،( س ر د ).

3- الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر ، بيروت، دط ، 1965 مادة، (س ر د).

4- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ت، مادة ( س ر د ).

**مصطلح القص لغة:**

جاء في كتاب العين للخليل بن أحمد:" قصّ: القصّ والقاص يقص القصيص قصا والقصة معروفة. ويقال: في رأسه قصته أي جملة من الكلام ونحوه، واستقص منه أي طلب أن يقص منه وأقصه به وأحسن القصص القرآن"[1] وفي جاء في أساس البلاغة:" قصص وقصصت أثره وقصصته: اتبعته قصصا، وخرجت في أثر فلان قصصا "فارتدا على آثارهما قصصا" وقص عليه الحديث والرؤيا واقتصه وتقصصت كلام فلان، وله قصة عجيبة، وقصص حسن، وقصيصة وقصص وقصائص وأقاصيص قال هدبة بن خشرم:

فقصوا عليه ذنبنا وتجاوزوا ذنوبهم عند القصيصة والأثر

أي عند القصة والحكاية، ورفع قصته إلى السلطان، والقصاص يقصون على الناس ما يرق قلوبهم"[2] وجاء في لسان العرب: "القص فعل القاص إذا قص القصص، والقصة معروفة ويقال في رأسه قصة يعني الجملة من الكلام ونحو قوله تعالى: "نحن نقص عليك أحسن القصص" أي نبين لك أحسن البيان، والقاص: الذي يأتي بالقصة من فصها، وقال: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، ومنه قوله تعالى: "وقالت لأخته قصيّه" أي اتبعي أثره.

وتقصص كلامه: حفظه وتقصص الخبر: تتبعه، والقصة: الأمر والحديث. واقتصصت الحديث: رويته على وجهه والقص: البيان والقاص: الذي يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها[3]

ويبدو أن ما بينته هذه النصوص من معان للقص تفيد في مجملها الكلام والخبر والأخبار وتتبع الشيء وتتابع الكلام بعضه يتبع بعضا من قص الأثر، وفعل القاص إذا أخبر بشيء ما على الجودة والإحسان فيه. وهو البيان والوضوح في القصد والمراد من الشيء.

**-حكايات ألف ليلة وليلة:**

---

1- الفراهيدي: كتاب العين: مادة ( ق ص ص ) .

2- الزمخشري: أساس البلاغة: مادة ( ق ص ص ).

3- ابن منظور: لسان العرب : مادة ( ق ص ص) .

ألف ليلة وليلة هي مجموعة متنوعة من الحكايات الشعبية عددها حوالي مئتي قصة يتخللها شعر في نحو 1420 مقطوعة، ويرجع تاريخها الحديث عندما ترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي "أنطوان جالان" عام 1704م، والذي صاغ الكتاب بتصرف كبير، وصار معظم الكتاب يترجم عنه طوال القرن الثامن عشر وما تلاه، وقد قلدت الليالي بصورة كبيرة. تحتوي قصص ألف ليلة وليلة على شخصيات أدبية خيالية كثيرة[1] كما عدت أشهر نموذج للحكايات الخرافية عبر العالم.

**-بدايات حكايات ألف ليلة وليلة:**

تورد النسخ المختلفة من ألف ليلة وليلة، في الصفحات الأولى والأخيرة من الكتاب والمتن، ما تخرف به شهرزاد لشهريار. وثمة اختلاف كبير في رواية الخرافة بين نسخة وأخرى، بما لا يؤثر في بنيتها السردية.

وتدور الخرافة حول ملكين شقيقين هما شهريار وشاه زمان، إذ يرسل الأول وهو ملك الصين في طلب أخيه ملك فارس، فيستجيب لطلبه ويغادر مملكته، ولكنه يعود لبيته لشيء افتقده، فيجد زوجته وعبدا له معا في فراشه، فيقتلهما حالا، ويستأنف رحلته إلى مملكة أخيه، وقد باغته الهم والحزن والحيرة لما جرى له، ويعتزل الحياة في قصر ملحق بقصر أخيه، وتفشل محاولات الأخ في الإطلاع على حقيقة أمره وفي يوم ما يدعوه " شهريار" لمصاحبيه في رحلة صيد، لكنه يمتنع، ويظل حبيس القصر يتفكر في أحواله، وقد شحب لونه، وتغيرت طباعه وفيما يغادر أخوه القصر إلى الصيد، ينتبذ هو مكانا إلى جوار نافذة القصر، تطل على بستان ملحق به، إذ يفاجأ بزوجة أخيه وجواريها وعبيدها، يمارسون الحب بين الأشجار دون خوف، ويتيقن أن ذلك يتكرر كلما غاب شهريار عن قصره، فيهون على نفسه ما جرى له، مقارنة بما يجري لأخيه، فيسترد عافيته ولونه، ويكتشف أنه ليس وحده فيما أصابه.

وحالما يعود شهريار من رحلته، يلاحظ علامات التغير على وجه أخيه شاه زمان ويرجوه أن يخبره بأمره، لكن شاه زمان يتردد في كشف الحقيقة، وبسبب من إلحاح أخيه ورجائه، يخبره

---

1- ألف ليلة وليلة من ويكيبيديا الموسوعة الحرة (إلكترونية).

عن السبب الذي جعله يعتزل الحياة ويتغير حينما وصل زائرا، وذلك لأنه اكتشف خيانة زوجته له، لكن كشف جانب من حقيقة الأمر، جعل شهريار يشدد في إلحاحه، عن السبب الذي جعله يعود إلى ما كان عليه، فيخبره بعد تردد، بما رأى في بستان قصره، لكن شهريار لا يصدق قوله، فيدعوه أخوه لتدبير حيلة، تقوده إلى كشف حقيقة زوجته، وذلك بأن يعلن عن خروجه في رحلة صيد، ثم يعود خفية، لمراقبة ما يجري في حديقة القصر وبذلك يطلع على أمر خيانة زوجته له، فيقرر الأخوان في ضوء ما جرى لهما، هجرة مملكتيهما، والبحث عمن يواسيهما في المأساة التي وقعا فيها، فتقودهما

قدماهما إلى ساحل بحر هائج، سرعان ما تقذف أمواجه الصاخبة جنيا ضخما إلى الشاطيء، فيلجآن خوفا منه إلى شجرة قريبة يتسلقان جذعها، ويختبآن بين أغصانها، فيما يتجه الجني إلى الشجرة نفسها، وهو يحمل صندوقا على رأسه، ويتكيء عليها، ويفك أقفال الصندوق، فتخرج منه جارية جميلة، خطفها ليلة عرسها، فيواقعها، وتأخذه بعد ذلك إغفاءة نوم، وحالما ترفع الجارية نظرها إلى أغصان الشجرة، تكتشف أمر شهريار وشاه زمان فتطلب إليهما إيماء، أن ينزلا ويواقعاها، وإلا أيقظت الجني إن هما امتنعا عن تحقيق رغبتها، فيستجيبان خوفا، وحالما يفرغان منها، تأخذ خاتميهما، وتضيفهما إلى خواتم كثيرة في كيس كان معها، يتراوح عدد الخواتم بين مئة وخمسمئة حسب اختلاف نسخ كتاب ألف ليلة وليلة، وتخبرهما أن عدد الخواتم في الكيس يساوي عدد الرجال الذين واقعوها في غفلة عن الجني، على الرغم من شدته وجبروته، واحتجازها في صندوق مقفل في قاع البحر، فيتعجب الملكان من أمرها غاية العجب، ويستهجنان ما جرى لهما، مقارنة بما يجري لهذا الجني المخيف، فيقرران العودة إلى مملكتيهما، والاندماج في الحياة ثانية، مقرين بعجزهما إزاء حيل النساء.

وحالما يصل الأخوان إلى مملكتيهما حتى يقتل شهريار زوجته وخدم القصر رجالا ونساء، ويقرر ألا يتزوج سوى امرأة عذراء، يقتلها بعد أن يمضي ليلة معها، إلى أن يتعذر على الوزير الحصول على فتاة بكر تصلح أن تكون زوجة للملك، سوى ابنته الكبرى شهرزاد التي قرأت كتب التواريخ وسير الملوك المتقدمين، وأخبار الأمم الماضين...وما أن يخبرها الوزير حتى توافق، ويتزوج الملك شهرزاد، فتبدأ في ليلة الزواج تحدثه بأحاديث عجيبة وطريفة، تستغرق ألف ليلة، فلا

يمل من خرافاتها، ولا يستطيع قتلها شأن غيرها؛ لأن قتلها سيفقده من يخرف عليه كل ليلة، إلى أن تمضي شهرزاد ألف ليلة تحقق خلالها أمرين: أولهما إنجاب ثلاث ذكور من الملك، وثانيهما: نجاحها في تغيير وجهة نظره اتجاه النساء، بإيرادها خرافات ذات أهداف اعتبارية، وملا الأمرين يتضافران معا، ليصرفا شهريار عن المضي في قراره القاضي بقتل المرأة العذراء خشية الخيانة [1].

**-كتاب ألف ليلة وليلة:**

يذهب الكثير من الدارسين العرب إلى أن هذا الكتاب الضخم من تأليف عربي، ويسوقون للاستدلال على ذلك مجموعة من الحجج والبراهين التي يدللون بها على صحة آرائهم، ومن هؤلاء نذكر حامد صادق قنيبي الذي يقول بأن: « هذا الكتاب وضع بين القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، وهو كتاب قصص مشهور أعجب به الغربيون، وترجم إلى كثير من اللغات باسم الليالي العربية أو باسمه الحقيقي، وقد سموه بذلك لأن أكثر قصصه مطبوع بالطابع العربي، وقد ترجم أصل هذا الكتاب من الفارسية الفهلوية إلى اللغة العربية في القرن الثالث هجري فيما يظهر، وذلك حين ضعف شأن الخلفاء العباسيين، ويظن أن الكثير من القصص المطبوعة بالطابع الفارسي في كتاب ألف ليلة وليلة موجودة في كتاب هزار إفسانة، وأضيف إلى الأصل الفارسي الكثير من القصص والنوادر التي كانت موجودة عند العرب، أو وضعت في الأعصر التالية، ولم يزل هذا الكتاب يتضخم بما كان يضاف إليه من قصص في العهود التالية»[2] .

ومن الأدلة التي يسوقها للتدليل على صحة رأيه أن هذا الكتاب يمثل:

الأذواق القصصية في العصور العباسية العربية المختلفة، كما يمثل الأقاليم الإسلامية، ففيه قصص عربية تدور أحداثها في دمشق، وتتحدث عن الخلفاء والولاة والأمويين، وعن بعض نساء العرب المشهورات، وفيه قصص مصدرها عراقي، وأحاديث عن مدينة بغداد والجزائر البعيدة، وقصص مصدرها مصري تدور أحداثها في مصر والإسكندرية، كما تمثل هاته الحكايات بعض

---

1- ينظر:عبد الله إبراهيم:السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1992،1، ص94،95.

2- حامد صادق قنيبي: الأدب العباسي النثر، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دط ،2008، ص208.

عادات وأخلاق العرب، فهي تصور الانهماك في اللذات، وتنظر إلى المرأة نظرة مزدرية...على أن فيها بعض القصص التي تصور مكارم الأخلاق وتدعو إليها [1]

أما داود سلمان الشويلي، فيذهب إلى أن هذا الكتاب عربي الأصول، فيقول: « ألف ليلة وليلة سفر من أسفار الأمة العربية – رغم ما فيه من تأثيرات الحضارات الأخرى– إنه كتاب عربي مئة بالمئة وهو ابن حضارتها وثقافتها وأدبها. وهو إضافة إلى احتوائه على فن قصصي ذي نفس فني جيد، كثيرا ما تشدق المعنيون بتاريخ الفن القصصي بعدم احتواء الأدب العربي القديم على مثل هذا الجنس الأدبي، إن ما يحويه هذا السفر العظيم هو نفس ما احتواه الفن القصصي الروائي من خيال خصب لا يبتعد عن الواقع إلا بما تتطلب منه أساسيات هذا الفن، وهو إضافة إلى ذلك ينطلق من الواقع ليصب فيه» [2].

وهو الرأي ذاته الذي يذهب إليه طلال حرب حيث يقول: « والذي نرجحه أن الكتاب من وضع عربي انطلاقا من أصول متعددة ومتنوعة، فقد قام مؤلفه الأول بالإطلاع على حكايات هندية وفارسية ويونانية ثم نقلها مع الكثير من التعديل، وتوالى عليه المؤلفون بالنقل والتعديل والتعريب والإضافة والتأليف حتى وصل إلينا في شكله الحالي الذي اكتمل في عهد المماليك».[3]

وللتدليل على ذلك يقول: «.وما يؤيد ما نذهب إليه وجود أسماء خلفاء كهارون الرشيد ووزراء كجعفر البرمكي، وخلط الشعر بالنثر، وهي مزية عربية خاصة وبارزة في هذا الكتاب.وذكر مدن كبغداد ودمشق وغيرهما،فضلا عن وجود مفاهيم إسلامية واضحة لا تخفى على من يتصفح الكتاب»[4].

يغلب الظن أن هذا الكتاب اتخذ الصيغة النهائية بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر، إلا أنه من الثابت تاريخيا أنه معروف منذ القدم، فقد ورد ذكره عند المؤرخ العربي المسعودي(346ه)

---

1- المرجع نفسه، ص209.

2- داود سليمان الشويلي: ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا،2000، ص9.

3-طلال حرب: نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1999،1، ص44.

4- المرجع نفسه، ص44.

في مؤلفه مروج الذهب ومعادن الجوهر في فصل عنوانه ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها تحت عنوان كتاب ألف ليلة وليلة، ما نصه:

«...إن هذه أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة، نظمها من تقرب للملوك بروايتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وإن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب هزار أفسانة، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية ألف خرافة، والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة. والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة. وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها، وهما شيرزاد ودينازاد ومثل كتاب فرزة وسيماس وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب السندباد، وغيرها من الكتب في هذا المعنى»[1] .

نستنتج من نص "المسعودي" أن كتاب ألف ليلة وليلة كان معروفا في عهده القرن الرابع للهجرة وأن قصة السندباد ليست من أصله وإنما ألحقت به فيما بعد، كما أن مصدر القصص الواردة في الكتاب هندي وفارسي، إلا أنه بمرور الزمن وبفعل الزيادات والتغييرات التي لحقته، اتخذ الصبغة العربية، التي عرف بها فيما بعد عند الغربيين.

ويذهب محمد بن إسحاق بن النديم(ت438هـ) في كتابه الفهرست وهو يتحدث عن التأليف الخرافي إلى أن: « أول من صنف الخرافات، وجعل لها كتبا وأودعها الخزائن، وجعل بعض ذلك على ألسنة الحيوان، الفرس الأول. ثم أغرق في ذلك ملوك الإشغانية وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، ثم زاد ذلك واتسع في أيام ملوك الساسانية ونقلته العرب إلى اللغة العربية، وتناوله الفصحاء والبلغاء، فهذبوه ونمقوه، وصنفوا في معناه ما يشبهه فأول كتاب عمل في هذا المعنى، كان كتاب هزار أفسان، ومعناه ألف خرافة...وإن أول من سمر بالليل الإسكندر، وكان له قوم يضحكونه ويخرفونه. لا يريد بذلك اللذة، وإنما كان يريد الحفظ والحرس، واستعمل لذلك بعده الملوك كتاب هزار أفسان، يحتوي على ألف ليلة وعلى دون المئتي سمر، لأن السمر ربما حدث به في عدة ليال، ولقد رأيته بتمامه دفعات، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث»[2] .

---

1- المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت،1973، ص251.

2- ابن النديم: الفهرست، تح: رضا تجدد، طهران،1971، ص363.

.

يشير هذا النص إلى الريادة الزمنية للتأليف الخرافي وإلى أسبقية الفرس في التأليف الخرافي، وجعلها كتبا تودع في خزائن، وإلى طريقة تلقي العرب لهذه الخرافات، التي كانت معروفة عند الهند والفرس، ويؤكد ابن النديم أن العرب نقلت كل ذلك إلى العربية، وتناولوه بالتنميق والتهذيب والتعديل وصبغه بالطابع العربي.

وفي العصر الحديث استمرت القضية في التفاعل، ولم يثبت أن هذا النص السردي الخرافي السحري العجائبي عربي الأصل، بل إن هناك من استمر يبحث فيه وفي أصوله، معتبرا إياه نتاج مجموعة من العوامل التي تضافرت لتشكيله، يقول جمال البدري في ذلك: « إن ألف ليلة وليلة نتاج أدبي فكري، سياسي،تاريخي،اجتماعي، له أهمية قصوى بين نتاجات الآداب العالمية في الشرق والغرب، قديما وحديثا لقي المزيد من الاهتمام المتجدد» [11] ، كما يذهب أيضا إلى أن نص الليالي قد خضع لعدة تطورات وتحويرات وأنه ليس عربي الأصل، ويسوق لذلك مجموعة من الحجج، فهو يرى أن:

يرى محمد غنيمي هلال في كتابه الأدب المقارن في معرض حديثه عن فن القصة في الأدب العربي أن هذا النص السردي التراثي يمت بصلة قوية للقصة، غير أنه متعدد الأصول ففيه آثار لعدة ثقافات الفرس، الهند، اليونان، المصريين، كما أنه دون في عصور مختلفة، مما جعله يخضع لعدة تغييرات« فأصل الكتاب كان مدونا، ثم نزل إلى الأدب الشعبي الفولكلوري فغير منه وزيد فيه. فلا ينبغي، إذن إنكار تأثير الآداب الأخرى في نشأته ونموه بحجة أنه من الأدب الشعبي الذي تمحى فيه الحدود وتتشابه الآداب دون حاجة إلى تلاق تاريخي. ذلك أن هذا الكتاب لم ينشأ في أصله شعبيا»[1].

أما عن اسم الكتاب، فإنه لم يعرف قط، ولكن يقال إنه أطلق عليه اسم فارسي "هزار أفسانة" ويعني الخرافة، وأما الناس فيطلقون عليه اسم ألف ليلة وليلة؛ ويعود سبب التسمية إلى أن العرب يميلون إلى الأرقام المفردة، وفي القرن الثالث عشر كان يعرف عند العرب كتابان قريبان

1- جمال البدري: اليهود وألف ليلة وليلة، دراسة تحليلية نقدية مقارنة من الأعماق إلى الأفاق، بغداد، ط1،1998، ص11 .

من ألف ليلة وليلة هما: ألف عبد، وعبد ألف جارية وجارية، ومهما يكن من شأن في هذه التسمية فإن أمرا لا يشك في صحته أحد وهو أن عدد حكايات ألف ليلة وليلة لم يبلغ في حينه ألف حكاية ، ولا هي وزعت توزيعا صحيحا إلى ألف ليلة وليلة[1].

**-الخصائص الفنية في كتاب ألف ليلة وليلة:**

ألف ليلة وليلة كتاب ضخم جمعت فيه عشرات الحكايات، التي اعتمدت أساسا على حكاية واحدة افتتح بها هذا الكتاب، فكان ذلك بداية أسلوب فني جديد، إن الحكاية التي اعتمدت بنيت على أساس أن المرأة هي سبب المكر والخيانة، ثم تأتي بعد ذلك مجموعة من الحكايات الأخرى المشوقة.

إن الحكاية الرئيسية يمكن أن نطلق عليها اسم حكاية المفتتح ذلك لأن السرد القصصي في هذا الكتاب قد ابتدأ بها، فكانت فاتحة له، فجاءت كعنقود العنب في تصميمه، وتتفرع منها حكايات أخرى أطلق عليها اسم حكايات الإطار أي الجامعة لنوع آخر من الحكايات، لا تختلف عنها بشيء، ولكن تدخل في بنائها ومحتواها، و يسمى هذا النوع من الحكايات بحكايات التضمين؛ أي الحكايات التي جاءت ضمن حكايات الإطار. وقد توالدت حكايات أخرى داخل حكايات التضمين تسمى حكايات خارج السياق »[2].

نص ألف ليلة وليلة يتضمن أربعة أنواع من الحكايات هي: حكاية المفتتح أي الأصلية وتتضمن ما جرى لشهريار منذ اكتشافه خيانة زوجته الأولى، وحكايات الإطار ما قصته شهريار أمام زوجها الملك، وحكايات تضمينية، وحكايات خارج السياق.

وعلى العموم يمكن أن نشير إلى أهم الخصائص السردية المعتمدة في هذا الكتاب، والتي أهمها:

---

1- www.alwaraq.com

2- داود سليمان الشويلي:ألف ليلة وليلة وسحر السردية العربية، ص10،11.

– التداخل السردي للأحداث، ومن دراسة هذا الجانب الفني المهم، والذي تعتمد عليه تقنية بناء المشهد السردي للأحداث، يمكن استخلاص نوعين من تداخل السرد هما:تداخل السرد التضميني، وتداخل السرد التراكمي[1].

– أما بالنسبة للزمن المستخدم في المبنى الحكائي لليالي، فهو يتميز بمجموعة من الخصائص، منها استخدام صيغة الماضي، ولذلك جاءت كل الليالي تبدأ بالجملة المعهودة بلغني أيها الملك السعيد، إضافة إلى كونه زمنا تخييليا ذلك أن ما ترويه شهرزاد أمام الملك سابق لوقت السرد، كما أن صيغ الزمن الثلاث من ماض وحاضر ومستقبل تأخذ لها في هذا النص مسارا خطيا متذبذبا يجمع بينها تسلسل غير منتظم[2].

– بروز عناصر فنية في الليالي كالتشويق، ومرونة السرد، وإمكانات إضفاء الخيال على الموضوع الرئيسي وتوسيعه عبر إضافات ومسارات تتواصل مع الموضوع الرئيسي.

– قدرة شهرزاد على السرد الارتجالي ساعدتها على تغيير مصيرها، عبر إطالة زمن الحكايات، والإتيان في كل ليلة بجديد أو مزيد من القصص، رغم أنها أحيانا تضطر إلى الخروج عن الخط العام للحكي من خلال طرح غريب أو طارئ[3].

– أما أسلوب كتابة ألف ليلة وليلة، فقد اعتمد على الاستفادة من جميع النتاج الفكري والثقافي والأدبي للشرق القديم خصوصا العربي الإسلامي، دون الإشارة لمصدر محدد تم الاعتماد عليه، مع إدخال تعديل وتحريف وإضافة بما يتناسب وأهداف المؤلف، وعلى الرغم من ذلك، فإن الطابع العراقي العباسي والبغدادي البصري منه بالذات هو السائد في عموم الليالي[23].

ومع ذلك، فإن هذا الموروث الضخم ذو الطابع السحري العجائبي، والمليء بالمغامرات والخيال، قد شابته هنات كثيرة تحدث عن بعض منها حامد صادق قنيبي، وهو يتعرض لدراسة هذا النص الأدبي النثري العباسي، فأشار إلى أن:

---

1– المرجع نفسه، ص36.

2– المرجع السابق، ص48.

3–www.marefa.org

– الكتاب مطبوع بطابع المبالغة التي تصل أحيانا إلى حد الخرافة كقصص السندباد، ولكن مع ذلك فيه بعض القصص التي تقترب من الواقع، وهي على الجملة مجموعة قصص مختلفة المواضيع والأساليب والأغراض، وفيه الكثير من الألفاظ البذيئة التي يترفع الأديب عن قراءتها، رغم تهذيب الطابعين له.

– ينقص الكثير من قصصه تماسك الموضوع، وارتباط النتيجة بالمقدمة، ولكن بعضها الآخر لا يخلو من توفيق في حبك القصة، وفي وضع أبطالها في مواقف محرجة تشوق القارئ إلى معرفة صورة حلها، مع إبداع في الوصف وانسياق في الخيال، وإحسان في التعبير[1].

– يقتصر الوصف في القصص على وصف الأحوال الظاهرة، ولا يعنى بتحليل النفوس، والتغلغل في طبائع النفوس البشرية، ودراسة الأخلاق؛ ولهذا عدت من بعض النواحي قصصا غير راقية.

– لغة هذا النص السردي وعباراته سهلة على العموم، ولكنها تختلف باختلاف العصر، فالقصص التي وضعت في العهود الأولى يصدق عليها هذا الحكم، في حين أن القصص التي دونت في العهود الأخيرة، وهي مصرية في أغلبها، فعباراتها ركيكة لا تخلو من الخطأ، بل إنها كثيرا ما تقترب من العامية[2].

ليست قصصا وحكايات وليست أساطير وخيالات وليست جنيات وعفاريت. وليست شهوات ومؤامرات وليست أسفارا ومغامرات فحسب، وإنما ألف ليلة وليلة هي برنامج فكري شامل مشفر يستند إلى أسس ثابتة متوارثة[3].

ويبقى نص ألف ليلة وليلة رغم غموضه وتعدد الدراسات حوله، إنجازا أدبيا عربيا ضخما ليس على مستوى العالم العربي فحسب، بل على مستوى العالم أجمع، إنه أشبه ما يكون بسجل أدبي تاريخي وحضاري، احتوى ميراث الإنسانية كلها منذ قديم الزمان.

---

1– ينظر: حامد صادق قنيبي: الأدب العباسي (النثر)، ص209.

2– ينظر: المرجع السابق، ص210.

3– جمال البدري: اليهود وألف ليلة وليلة، ص11.

**عنوان المحاضرة: الحكاية على لسان الحيوان (كليلة ودمنة)**

**-الحكاية:**

جاء في أساس البلاغ " تقول العرب: هذه حكايتنا أي لغتنا امرأة حكي: حاكية لكلام الناس مهذار"[1] جاء في لسان العرب: " حكي الحكاية كقولك حكيت فلانا وحاكيته، فعلت مثل فعله أو قلت مثل قوله سواء لم أجاوزه، وحكيت عن الحديث عنه حكاية وفي الحديث: ما سرني أني حكيت إنسانا وأن لي كذا وكذا إني فعلت مثل فعله. يقال حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح والمحاكاة المشابهة"[2].

ويبدو أن معنى الحكي ينصرف إلى كثرة الحكي لكلام الناس وهو الهذر، والحكي بمعنى التقليد والمحاكاة، وهذا المعنى يشبه المفهوم الأفلاطوني للمحاكاة إلى حد بعيد ومشابهة الشيء للشيء من حيث تقليد فعل المرء لفعل غيره من غير زيادة أو نقصان.

والنصوص التي تتناول معنى السرد تكشف أن معاني السرد تشبه معنى القص والحكي من جهة التتابع، وتختلف عنهما من حيث دلالته على النهج والصفة؛ إذ من معانيه تتابع القراءة أو الكلام والحديث، وهو المعنى الأشهر والأقدم لهذه الكلمة. وكذلك جودة المعنى وصحة وسلامة سياق الحديث عبر توال منسجم، و تناسق النظام أو الانتظام للأشياء انتظاما متسقا موحدا عبر الانتقاء وتقدمة شيء إلى شيء آخر.

---

1- الزمخشري: أساس البلاغة: مادة ( ح ك ي ).

2- ابن منظور: لسان العرب : مادة ( ح ك ي ).

الخرافة في الأصل فن من الفنون الشعبية تنشأ بصورة فطرية في صورة تفسير للظواهر الطبيعية تفسيرا أسطوريا، كما تنشأ الحكاية شعبية أيضا ثم ترقى إلى الفن الأدبي والحكي على لسان الحيوان هو عبارة عن حكاية ذات مغزى خلقي وتعليمي تحكى على لسان الحيوان أو النبات أو الجماد أو الإنسان، فظاهرها شخصيات وحوادث وباطنها شخصيات رمزية أخرى هي المراد من الحكاية، والمقصود ما وراء هذه الشخصيات والحيوانات الظاهرة.

فالحكاية قصة رمزية إيحائية تحكى على لسان الحيوانات والجماد والطيور والإنسان مثل قصة حجا، والحكاية ذات طابع رمزي تظهر زمن الضيق لتعبر عن مشاعر نفسية تجاه الخصم بطريقة غير مباشرة، وعرفت الحكاية عند الأمم قديما، فالهنود سبقوا اليونانيين في هذا النمط من الحكايات عندما ألفوا كتاب: جاكاتا الذي يحكي تناسخ بوذا في صور الحيوانات والطيور، كما يحفظ التاريخ أيضا بعض الحكايات المصرية القديمة التي يرجع تاريخها إلى القرن الثاني عشر قبل الميلاد كقصة السبع والفار التي وجدت على وق البردي[1] ولعل أقدم الآداب في فن الحكاية الأدب الهندي وفيه ظهر كتاب: بنج تانترا والذي يسمى كتاب كليلة ودمنة الذي يتضمن مجموعة من الحكايات الطريفة ذات أهداف تعليمية مطبوعة بالطابع الفني والحكمي والفلسفي ومعروفة لدى الهنود من القديم[2]

**-كتاب كليلة ودمنة:**

الكتاب هو مجموعة من القصص الرمزية تحكي تجارب امة لها حضارة ، كتبت من قبل جماعة من الأدباء الهنود، وترك الكتاب أثرا كبير في الحياة الأدبية العالمية، قام الكاتب ابن المقفع(ت142هـ) بترجمته إلى العربية، وتدور مناسبة تأليف الكتاب إلى أن العالم الفارسي برزويه كان مولعا بالفن والعلم والحكمة وكان مقربا من كسرى أنوشروان، فلما قرأ في كتاب الهنود أن لديهم نباتا ينثر على الميت فيتكلم في الحال، ارتحل إلى الهند بتشجيع من كسرى وظل يبحث عن كتاب كليلة ودمنة، ويتقصى إلى أن عرف أن النبات المقصود هو رمز للكتاب الموجود لدى الرَّاجَا حاكم الهند، وهذا الكتاب لا يسمح لأحد باستنساخه إلا أن برزويه بعلمه وحكمته وحسن

1- محمد رمضان الجربي: الأدب المقارن، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص91.

2- المرجع نفسه، ص92.

خلقه استطاع الاطلاع على النسخة الهندية وكان يرسل إلى كسرى كل ما يحفظه منها تباعا وبذلك تم إصدار الكتاب كليا.

تعد قصص كليلة ودمنة حكمة في ثوب خرافة تتضمن حكايات على السنة الحيوانات التي تمثل الحياة البشرية في كل مناحيها المختلفة من نزاعات وأهواء وأفكار ما نجده بين البشر ، كما نجد في الحوارات التي يديرها ابن المقفع ببراعة بين أطرافها تحمل الجدل والفقه والمنطق وعلم الاجتماع والسياسة ومختلف العلوم، فيصور حياة البشر أشرارهم وخيارهم انطلاقا من شخصيات بهيمية يجعل منها الكاتب أبطالا لأمثاله الخرافية.

يدور الكتاب حول قصص يرويها الحكيم بيدبا للملك دبشليم، واطلع ابن المقفع على النسخة الفارسية التي كان لها الأثر البالغ في نفسه وتفكيره وثقافته، وكانت الظروف السياسية والاجتماعية التي تحيط بالفيلسوف الهندي بيدبا في علاقته بالملك دبشليم شبيهة بالظروف التي كان يعيشها ابن المقفع مع الخليفة المنصور العباسي الذي كان بحاجة إلى النصح غير المباشر لما عرف عنه من قوة البأس والبطش لكل من يخرج عن طاعته.

لذا اتسمت ترجمة ابن المقفع للكتاب بخصوصية ظرفها الزماني والمكاني، فأضاف بعض القصص التي هي من نسيج تأليفه وعدل بعضها، واكتسب المترجم منها روحا جديدة من خلال أسلوبه الشيق وعرضه الرائع، فتناول الكتاب قصصا تجري على لسان الحيوان ظاهريا لتصل إلى أهداف أخرى أخلاقية وتهذيبية وإصلاحية لشؤون المجتمع

**-أصل الكتاب:**

اختلف النقاد والدارسون في أصل كتاب كليلة ودمنة، فمنهم من يرى أن الكتاب من وضع ابن المقفع بالنظر إلى مؤهلاته ومقدرته العلمية، فهو قادر أن يقوم بهذا العمل، إضافة إلى الروح الإسلامية الواضحة التي يتضمنها الكتاب، وهناك موقف آخر يذهب إلى أن الكتاب مترجم وهو من أصول هندية، وهذا الموقف هو الراجح، وبهذا يكون الكاتب ابن المقفع مترجما عن الفارسية مع بعض التصرف مراعاة لمقتضى الحال، وهناك من يرى أن أصل الكتاب فارسي ترجمه ابن المقفع إلى العربية، وبعد ضياع النص الأصلي الفارسي أعيد ترجمته من العربية إلى الفارسية، وهناك من يقول أن أصل الكتاب هندي ترجم إلى الفارسية ثم من الفارسية العربية، أعجب به ابن

المقفع ونقله إلى العربية لما فيه من قيم اجتماعية وسياسية شبيهة بالسياق العام للعصر العباسي في ذلك الحين.

والراجح أن أكثر الروايات ذهبت إلى أن أصل كليلة ودمنة هندي، وأن الأصل الهندي قد ترجم إلى اللغة الفهلوية أو الفارسية القديمة، ثم جاء الكاتب ابن المقفع ونقل النص الفارسي مضيفا إليه بعض الملامح العربية، ومتصرفا أحيانا في بعض القضايا التي تتناسب مع واقع المجتمع العربي الإسلامي، وبهذا أعطى ابن المقفع الكتاب طابعا عربيا في الأسلوب والصياغة ، مما جعل شخصيته بارزة في الكتاب، الشيء الذي جعل بعض الباحثين يشيرون إلى أن الكتاب من تأليف ابن المقفع وليس من ترجمته[1].

الكتاب منظومة من القيم الاجتماعية والأخلاقية تعكس فلسفة الحياة العلمية الشريفة، وهي قريبة من النزعة الفلسفية المثالية الموسومة بالمذهب العقلي، وبالتالي فالكتاب يحمل الأثر الفلسفي الأفلاطوني والأرسطي إلى جانب الفلسفة الهندية الشرقية، كما يحمل أيضا جانب من رؤية صوفية زهديه[2]

**-ابن المقفع:**

هو عبد الله بن المبارك المقفع ، ولد من أبوين فارسيين بخوزستان في قرية تسمى جور، سماه أبوه روزبة، أبوه من أشراف فارس فلما جاء إلى البصرة ولاّه الحجاج بن يوسف الثقفي – عندما كان واليا على العراق وبلاد فارس– خراج فارس، فمدّ يده واحتجن من مال السلطان، فضربه ضربا مبرحا حتى تقفعت يداه[3] عرف الكثير من آداب الهند واليونان، ولما رحل إلى البصرة خالط الأعراب واخذ عنهم اللغة كما احتك باللغويين والشعراء والرواة في عصره حتى تمكن من العربية وآدابها إلى جانب ثقافته الفارسية، فصار علما في الأدبين العريقين فهو زعيم كتاب الفرس والعرب[4].

---

1– ينظر: أحمد كمال زكي: الحياة الأدبية في البصرة إلى نهاية القرن الثاني الهجري، دار المعارف، القاهرة،، دط، دت، مصر، ص458.

2– ينظر: نفوسة زكريا: في أدبنا والآداب الأخرى من الموقع: .http//www.alukah.net/Literatur–Language.

3– ابن خلكان: وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس، وزارة الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1972، ص132.

4– ينظر: طه حسين: من حديث الشعر والنثر، مطبعة الصاوي، القاهرة، ط1، 1936، ص14.

يعد عبد الله بن المقفع من الأدباء المخضرمين الذي عاصروا الدولتين الأموية والعباسية، كان في نهاية في الفصاحة والبلاغة، كاتبا شاعرا فصيحا، أحد النقلة من اللسان الفارسي إلى العربي مضطلعا باللغتين فصيحا بهما، نقل الكثير من الكتب الفارسية إلى العربية، وكتاب كليلة ودمنة من أشهر ما نقل من الفهلوية إلى العربية، هذا الكتاب الذي جاء النصح فيه على أفواه البهائم والطيور، وفيه تجلى أسلوب ابن المقفع الفذ في كتابة الإنشاء الذي عبد به طريق النثر العربي ،وله تواليف عديدة منها التاج في سيرة أنوشروان، والأدب الصغير، والأدب الكبير[1]...

**عنوان المحاضرة: المقامات: بديع الزمان –الحريري– منامات الوهراني**

**–تمهيد:**

لقد خطى النثر العربي في العصر العباسي خطوات جبارة، وذلك بفعل عدة عوامل ساهمت في رقيه وازدهاره، إذ شجع الخلفاء الحركة العلمية وعملية الترجمة والنقل من الأمم الأخرى، فاتسعت دائرة الفنون واستحدثت فيها ألوان جديدة، فظهر إلى الوجود ما عرف حينها بفن المقامة، هذا الفن الذي أثرى الفنون النثرية والأنواع المعروفة آنذاك.

ومصطلح المقامة في معاجم اللغة عند العرب يحمل عدة معان أشهرها: المجلس، الحديث، الخطبة، الجماعة... يقول ابن منظور: «المَقَامُ والمَقَامَةُ الموضع الذي تقيم فيه، والمُقَامَةُ بالضم الإقامة، والمَقَامَةُ بالفتح: المجلس والجماعة من الناس»[2]. ولقد وردت في قول الشاعر العربي لبيد بن ربيعة العامري:

عفت الديار محلها فمقامها  بمنى تأبد غولها فرجامها

ومعنى مقامها في البيت الشعري الموضع، واستعملها زهير بن أبي سلمى بمعنى السادة في قوله:

وفيهم مقامات حسان وجوههم  وأندية ينتابها القول والفعل[3].

والملاحظ من التعريفات اللغوية لمصطلح المقامة أن المقامة هي المجلس الذي يجتمع فيه الناس لسماع ما يدور فيه من حديث، وأخبار، وقصص، وأشعار، ثم تطور هذا المعنى عبر

1– ينظر: ابن النديم: الفهرست، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص172.

2– ابن منظور: لسان العرب م12، ص498.

3– عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (دت)، ص476.

العصور الأدبية حتى أصبح في القرن الرابع الهجري يطلق على فن معين قائم بذاته له قواعده وأصوله على يد بديع الزمان الهمذاني.

والمقامة في الأصل المجلس، ثم أطلقت على ما يحكى في جلسة من الجلسات على حكاية ذات أصول فنية، وموجز هذه الأصول أنها: قصة قصيرة خيالية، أنشئت بعبارات مسجوعة غالبا، محلاة بأنواع البيان والبديع، يسودها حوار درامي تحتوي على مغامرات، يرويها راو عن بطل، قد يكون هذا البطل شجاعا يقتحم أخطارا وينتصر فيها، وقد يكون ناقدا اجتماعيا أو سياسيا أو فقيها متضلعا في مسائل الدين أو مسائل اللغة لكنه في كل الحالات تقريبا متسول ماكر ولوع بالملذات مستهتر، يحتال للحصول على المال ممن يخدعهم، ثم هو دائما أديب يجيد في أسلوبه عن بديهة وارتجال[1]

يدور موضوع المقامة حول حدث واحد متخيل، وشخصياتها الثانوية محدودة، ويؤدي دور البطولة فيها بطل محتال جواب أفاق، ويشاركه راوية يتعرف إليه إثر كل مغامرة ويرويها عنه، وتقع أحداثها في حدود مدينة أو منطقة واحدة، وفي زمن لا يتجاوز مقدار يوم وليلة، وهي بذلك تعد عملا أدبيا يتخذ القالب القصصي طابعا عاما، ولغة المقامة تميل إلى السجع، ولها راو وبطل[2]».

**-جذور فن للمقامة:**

اختلف النقاد ومؤرخو الأدب في تحديد الجذور التاريخية لفن المقامة، فهي وإن ظهرت متكاملة على يدي بديع الزمان، فقد سبقتها إرهاصات فنية أشار إليها الحصري القيرواني، فذكر أن بديع الزمان ألف هذه المقامات معارضة ومحاكاة لأحاديث ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن، الذي أغرب بأربعين حديثا، استنبطها من ينابيع صدره، وأنتجها من معادن فكره، ثم أبداها

1- ينظر: مارون عبود: أدب العرب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، دط، 2014، ص235.

2- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان،الأردن، ط1،2011، ص127.

للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية وألفاظ عنجهية، فعارضه البديع بأربع مئة مقامة تذوب ظرفا وتقطر حسنا[1].

ووازن شوقي ضيف بين أحاديث ابن دريد ومقامات الهمذاني، فذكر أن ما رواه القالي في أماليه يدور غالبا حول حكايات عربية قديمة، في حين تدور المقامات حول التسول والكدية، غير أنهما ألفتا لغاية واحدة وهي تعليم الناشئة اللغة[2].

وذهب الثعالبي إلى أن ابن فارس(ت390ه) يعد من المصادر المهمة التي تأثر بها بديع الزمان الهمذاني حين أنشأ مقاماته، فأشار إلى تلمذة البديع له[3].

**- مؤثرات كتابة المقامة:**

أ- مؤثرات فنية: هي قصص الوعاظ وأحاديث الأعراب التي تقوم على الكدية ووصف الجوع والفقر، والحكايات التي سجلها الجاحظ في غير كتاب من كتبه، وكلها تدور حول البخلاء والمكدين واللصوص والظرفاء والشطار.

ب- مؤثرات اجتماعية: هي عصر بديع الزمان الهمذاني الذي كثر فيه أهل الكدية، وظهر الساسانيون، وهم طائفة تنسب إلى ساسان أحد أبناء فارس، يقال: إن أباه حرمه من الملك، فهام على وجهه محترفا الكدية، وقد صورت المقامات حياة هؤلاء الأدباء الذين كانت لهم مكانة أدبية في ذلك العصر، وهذا يعني أن بديع الزمان قد ابتكر فن المقامة في إطار هذه المؤثرات[4].

**-المقامة عند بديع الزمان الهمذاني:**

المقامة كتابة يغلب عليها السجع وحوشي الألفاظ وغريبها، إضافة إلى غناها بالصور البيانية والمحسنات البديعية، والهدف الرئيسي من تأليفها هو تعليم الناشئة غريب اللغة وفنون

---

1- ينظر: الحصري القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن علي: زهرة الآداب وثمرة الألباب، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، دت، ص307.

2- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في النثر العربي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط8، 1960، ص248.

3- الثعالبي أبو منصور عبد الملك بن محمد: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر،تح:محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1979، ص463.

4- سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص229.

القول، إضافة إلى كونها وسيلة ناجعة من وسائل النقد الاجتماعي، لمعالجة بعض الأمراض التي تفشت في عضد الدولة الإسلامية، وذلك في إطار من المغامرات الهزلية المضحكة[1].

راوية المقامات هو عيسى بن هشام الذي يستهل المقامات بعبارة «حدثنا عيسى بن هشام» وهو رجل أسفار وترحال وتجارة واحتيال، يتحدث عن اغترابه ومصادفته لـأبي الفتح الإسكندراني بطل هذه المقامات، وهو رجل علم وثقافة، يقول الشعر، ويسلك أوعر المسالك في اللغة والأدب والنقد، يحتال على دهره القاسي بشتى الطرق، فتارة يكون خطيبا، وتارة مشعوذا، وقد حمله زمنه القاسي على هذا السلوك، فتصعلك وتسول وامتهن الكدية وتجول في مختلف البلدان وتقلب مع تقلبات الزمان[2].

تأخذ المقامة شكل القصة الفنية غالبا، وتقوم على السرد والوصف وتحليل الشخصيات، وهي تخلو من العقدة بالمعنى الفني، بل تقوم على الأزمة التي تجد حلا سريعا، ومن ثم يغلب عليها الإمتاع والتشويق[3].

يستخدم الهمذاني في مقاماته الشعر، إما يقتبسه أو ينشئه هو بحد ذاته، و«شعره سهل واضح المعاني – في الغالب– يخالف لغة نثر المقامات في أنه لا يسايرها في الألفاظ الغريبة التي كثرت في بعضها، ويتسم شعره أيضا بالتصوير بما فيه من قدرة على الوصف وإبراز للحركة. ويعتمد على الأوزان الخفيفة والمجزوءة، وذلك حتى تناسب جو الفكاهة ويسهل على الأذن استماعها وأغلب شعره مقطوعات قصيرة»[4].

**المقامة عند الحريري:**

صرح الحريري القاسم بن علي بن محمد بن عثمان(ت516ه) أنه كتب مقاماته معارضة لمقامات بديع الزمان الهمذاني الذي كتب أكثر من أربع مئة مقامة، لم يبق منها إلا اثنتان وخمسون مقامة.

---

1– محمد التنوجي: المعجم المفضل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1،1993، ص817.

2– سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي النثر، ص130.

3– المرجع نفسه، ص132.

4– علي محمد السيد خليفة:الفكاهة في مقامات بديع الزمان الهمذاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1،2010 ، ص134.

وقد كتب الحريري مقاماته سالكا فيها مسلك الهمذاني، من حيث وجود شخصيتي الراوي الحارث ابن همام والبطل أبو زيد السروجي.

وقد أملى الحريري مقاماته على لسان السروجي وهو من أهل الكدية الذين امتهنوا التسول، وكانت وسيلته في ذلك فصاحة لسانه وسحر بيانه، وهو يظهر في كل المقامات، وغالبا ما تساعده زوجته وولده، وهما يشاكلانه في الخداع والخبث والفصاحة، أما الراوي الحارث بن همام فهو رحالة أَبِيُّ النفس بعيد عن مسالك اللصوص، ولكنه يصاحب أبا زيد ويتعاون معه، لكنه يقلع عن الاحتيال ويتنسك ويتوب توبة نصوحا، ويفارق راويته في المقامة الأخيرة[1].

وتتكون كل مقامة عند الحريري من مقدمة، عرض، خاتمة، أما المقدمة فتدور حول فكرة واحدة، ولكنها ترد في صيغ لغوية مختلفة، تتضمن فكرة المطاردة بين الراوي والبطل، يظهر البطل فجأة وفي أماكن متباعدة قد تكون في المشرق أو في المغرب، والراوي يتابعه ولا يمل، ويصحب ظهور البطل مظهر غريب يشد الانتباه ويثير التشويق، ويحدث الشيء نفسه مع الخاتمة، إذ يبقى القارئ دائما مبهورا.[2]

وتدور موضوعات مقامات الحريري حول الاحتيال بطرق شتى، فتارة تأخذ شكلا دينيا وخلقيا كما في المقامة الصنعانية، وتارة شكلا أدبيا وفكاهيا كما في المقامة القطيعية والواسطية، وتارة أخرى شكلا مجونيا كما في المقامة الرحبية.

وتحتوي هذه المقامات على جد القول وهزله ورقيق اللفظ وجزله وغر البيان ودرره، ومُلَحِ الأدب ونوادره، فضلا عن الأبيات والأمثال والأحاجي واللطائف والخطب والرسائل والمواعظ[3].

ورغم أن الحريري قلد الهمذاني إلا أنه « تفوق عليه، فخطا بهذا الجنس الأدبي خطوات لم يبلغ فيها شأوه أحد من الذين قلدوه، قبل عصرنا الحديث»[4].

**-مناامات الوهراني:**

---

1- ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص251.

2- ينظر: إبراهيم عبد الحميد:الأدب المقارن من منظور الأدب العربي،دار الشرق، لبنان،ص35.

3- ينظر: سامي يوسف أبو زيد: الأدب العباسي، ص253.

4- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص226.

الوهراني هو الشيخ ركن الدين محمد بن محرز الوهراني أبو عبد الله نسبة إلى وهران، أديب صناعته الإنشاء كان بارعا في الهزل والسخرية، نشأ بوهران، عاش فترة الصراع على الحكم في المغرب الإسلامي وشهد سقوط دولة المرابطين على أيدي الموحدين، ورحل إلى المشرق في مناسبة حج كعادة أغلب القادمين إلى المشرق وأدى المناسك، دخل دمشق في عهد نور الدين محمود زنكي، زار بغداد فجالس بها الأدباء والعلماء، وعاد إلى دمشق فاستقر بها، تولى الخطابة بأحد مساجد داريّا، كما زار أيضا القاهرة أيام صلاح الدين الأيوبي والتقى هناك بالقاضي الفاضل عماد الدين الأصفهاني، ثم عاد إلى دمشق وتوفي بداريّا سنة 575هـ[1].

ترك الوهراني عدة مؤلفات منها: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، حققها إبراهيم شعلان ومحمد نغش، مع مراجعة عبد العزيز الأهواني عام 1968م، كتاب رسائل الوهراني ، وكتاب جليس كل ظريف، وهو كتاب يضم مجموعة من المقامات منها المقامة الميافريقية، والمنامة الصقلية، والمنام الكبير، وللوهراني عدة مقامات أشهرها المقامة البغدادية، والمقامة المسجدية، والمقامة الدمشقية، والمقامة الصقلية.

**-مناماته:**

لقد شهد القرن الرابع للهجرة ظهور لون أدبي نثري جديد وهو فن المقامات الذي نحا فيه مبدعه بديع الزمان الهمذاني(ت398هـ) منحى قصصيا سرديا، فتركت هذه المقامات أثرا ملحوظا في الكتاب الذين جاؤوا من بعده، ولاسيما في القرنين الخامس والسادس الهجريين، إذ نضجت فيهما بعض الأشكال القصصية وظهرت أشكال سردية جديدة منها فن المنامات الذي يعد لونا أدبيا له طابعه المستقل والمتميز من الألوان النثرية الأخرى. ولقد نهج الوهراني في مناماته أسلوبا جديدا في المعالجة الأدبية والسرد، فاتخذ من المنام عنصرا مهما في الحديث السردي لذلك عدا الدارسون والنقاد المنام نصا رمزيا مشبعا بالدلالات والرؤى.

ولما كان المنام الكبير للوهراني نصا يمتزج في الواقع والخيال، والممكن والمستحيل، والوعي واللاوعي، والمرغوب والممنوع، فكانت تجري أحداثه في العالم الآخر المتخيل، فقد اتخذ الكاتب

---

1-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص350.

من منامه قناعا اختفى وراءه ليقول ما يريد أن يقول بكل حرية، ويطلق سهام نقده اللاذع على الواقع المزري الذي يعيشه كل ذلك عبر شخصيات ومواقف افتعلها في منامه، ووراء منامه تكمن مواقف الوهراني الجريئة في كشف حقائق الأمور حول الكثير من الحقائق السياسية والاجتماعية والأدبية والفكرية في عصره[1].

**-من خصائص المنامات:**

- يتميز أسلوب الكاتب في المنامات بالبساطة والعفوية والاسترسال، وفي هذا خالف كتاب عصره الذين يميلون إلى الصنعة والتكلف، والتقيد بالسجع والإيغال في استخدام المحسنات البديعية.
- استعمل الكاتب المنام قناعا لإدانة الكثير من الظواهر الاجتماعية والأخلاقية التي تفشت في عصره.
- الحوار في المنام عنصر رئيسي في بناء المنام، والحوار يهيمن على منامات الوهراني بصيغة السؤال والجواب على مجمل مفاصل أحداث المنام، الشيء الذي سوغ لبعض الباحثين اعتبار منامات الوهراني أنموذجا للمسرح العربي التراثي الساخر.
- يأتي منام الوهراني على شكل أقصوصة سردت بوعي فني خطابي متميز يقدم فيه الأحداث على شكل لوحات فنية متعددة، معتمدا على عنصر الانتقال السريع والمفاجئ بين المشاهد.

1- ينظر: علاء الدين محمد رشيد: دراسة في المنام الكبير للوهراني، مجلة جامعة تكريت للعلوم، مج19، ع7، تموز2012، ص326.